آلام المسيح

سيدى المسيح أشهد أنك تألمت ، ولكن ليس على الصليب، لقد تألم قلبك وتألمت روحك، وأنت تواجه الطوفان الأسود، طوفان الكفر والبغضاء، لقد قدمت لهم كل ما يشهد أنك مرسل من عند الله، ولكنهم كانوا يغرسون خناجر العناد فى قلب كل معجزة، وكانوا ينشبون أظفار الظلام فى رئة النور، أردت أن تقدم لهم ماء الإيمان فكسروا الكأس واستلذوا بالعطش والتيه ، بشرتهم باقتراب ملكوت محمد ﷺ ، ولكنهم صُعقوا لما علموا أنه من بنى إسماعيل، ولما أخبرتهم بأن قانون النبوة قد كسر على يديك، فانتقلت النبوة إلى بنى إسماعيل ، وكانوا قد رآوا ولادتك المعجزة تكسر القانون المعهود للولادة ، أي أن القانون الطبيعي للولادة كما كسر بإرادة الله، فكذلك قانون النبوة، يكسر بإرادة الله، فجئت من غير ذكر ، لكنهم ازدادوا عنادا لك، ولما اعترضوا بأن المسيح يجب أن يكون من نسل داود، أخبرتهم بأن هذا لا يمكن أن يكون وقلت لهم:

«إذن كيف يدعوه داود بالروح ربا له إذ يقول : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، فإن كان داود يدعوه ربه ، فكيف يكون ابنه ؟».

متى (٢٢ : ٤٣ – ٤٥)

سيدى المسيح، لقد جئت من أجل الروح ، فكانت مملكتك مملكة روحية ، ليست من هذا العالم ، وأخبرتهم بأنهم لن يدخلوا الملكوت إلا إذا ولدوا ولادة روحية ، فلماذا يريدونك أن تتألم بالجسد على الصليب ؟ ، لماذا يقللون من شأنك إلى هذا الحد ؟ لقد تألم كثيرون آلاما جسدية، أما أنت ، فلقد سموت على كل هؤلاء لأنك كلمة الله ، سيدى المسيح أشهد أن آلامك كانت بالروح لا بالجسد، وأشهد أن الذى تألم بالجسد على الصليب هو يهوذا ، لقد تألمت حزنا على هؤلاء الذين اندفعوا إلى الهاوية ، وأنت تريد أن تنقذهم ، ولكنهم تفلتوا منك ، كانوا يتخبطون أمامك فى نفق التيه على الرغم من أنك كنت نورا بين أيديهم ، كان الدمع فى عينيك مهموما على هؤلاء وكان وجهك مكتسيا بتجاعيد الحزن .

«يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا». متى (٢٣ : ٣٧)

لقد فاجأهم المسيح بالحقيقة المرة وهى أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين، وهو أيضا من نسل إبراهيم مثلهم .

«أنا أعرف أنكم أحفاد إبراهيم ، ولكنكم تسعون إلى قتلى، لأن كلمتى لا تجد لها مكانا فى قلوبكم».

يوحنا (٨ : ٣٠)

ولما باغتهم بأن النبوة سوف تنزع منهم وتعطى لأمة العرب حاولوا قتله.

«إن ملكوت الله سينزع منكم ويسلم إلى أمة تؤدى ثمره». متى (٢١ : ٤٣)

لماذا يصرون على أن يجعلوا آلامك على الصليب و يرفضون أن تكون آلامك روحية كما كنت تعلمهم دائما ؟ لماذا رفضوا أن تكون مملكتك جسدية وأصروا على أنها روحية ، ثم يتناقضون مع أنفسهم ويجعلون آلامك جسدية لا روحية ؟

عفوا يا سيدى وأنت تراهم يسخرون من شبيهك يهوذا ويتلذذون بتعذيبك (يهوذا) ، إنهم بلا شك يتحملون إثم قتل نبى ولكن .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾

[النساء : ١٥٧]

* * *